(البعد الحداثي في فلسفة المفهوم عند عبد الله شريط)

تمير بولرباح ، طالب دكتوراه، جامعة الجزائر2 ،

ملخص: مما لاشكَّ فيه أن المفاهيم هي مفاتيح العلوم والفكر والحضارة والتقدم لذلك تحتاج كل انطلاقة فكرية الى ضبط مفاهيمها. ولذلك أخذت مشكلة (المفهوم) حيزا مهما داخل الفكر الفلسفي المعاصر باعتبارها البداية لفهم مشكلة الثقافة.وإذا كانت ثقافة المجتمعات الغربية قد قامت على فلسفة المفهوم منذ لحظتها اليونانية الى الفترة المعاصرة ، فإن السقوط الحضاري للمجتمعات العربية ومنها المجتمع الجزائري ادخلها في حالة فوضى المفاهيم التي انعكست على خارطة الحياة الفكرية والثقافية والسياسية،فعم التخلف وتبددت الرؤية المستقبلية.مما دفع بالنخب العربية المفكرة الى محاولة تشخيص العلل واقتراح الحلول للحاق بركب الحداثة. وقد أدرك المفكر الجزائري عبد الله شريط بحسه الثوري والنقدي أن انتصار المجتمع الجزائري في معركة السلاح وتحقيق الاستقلال بعد تضحيات جسام ،لا يكتمل إلا بالانتصار في معركة المفاهيم التي هي اكثر خطورة ،وأشد ضرورة لتجاوز الاضطراب العربي تجاه الحداثة،والارتقاء بالمجتمع إلى مستوى المفاهيم الحضارية.

الكلمات المفتاحية: الحداثة ،الفلسفة، المفاهيم ،التخلف ، النقد ، المجتمع الجزائري .

Abstract: There is no doubt that concepts are the keys to science, thought, civilization and progress, so every intellectual breakthrough needs to adjust its concepts. Therefore, the problem of the concept has become an important space within contemporary philosophical thought as the starting point for understanding the problem of culture. If the culture of Western societies has been based on the philosophy of the concept since its Greek epoch to the contemporary period, the civilizational fall of the Arab societies, including the Algerian society, make them live in the chaos of concepts which was reflected on the map of intellectual, cultural and political life, consequently the backwardness spread and the vision of the future faded. Prompting the Arab elites to try to diagnose the causes and propose solutions to catch up with modernity. The Algerian thinker Abdellah Chreit realized that the victory of the Algerian society in the battle for arms and the achievement of independence after great sacrifices is only accomplished by winning the battle of concepts that are more dangerous and more necessary to overcome the Arab turmoil towards modernity and elevate the society to the level of civilizational concepts.

Key word: modernism, philosophy, concepts, backwardness, critique, Algerian society.

مقدمة

إنَّ تحديات الحداثة العربية ما تزال تتفاعل منذ مئتيْ عام في كل أنحاء الوطن العربي ومجتمعاته المختلفة. وقد أدت هذه التحديات الى النهضة العربية الأولى في بدايات القرن التاسع عشر، بعد أن انفتحت الديار العربية على الحداثة ألأوروبية وبدأ العديد من الشخصيات العربية الاحتكاك بأوروبا والأوروبيين ، والإطلاع على منجزاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان لهذا الانفتاح سببان رئيسيان أحدهما ملتبس يميل إلى السلبية، وهو نابع من تنامي الأطماع الاستعمارية الأوروبية في أراضي وخيرات البلاد العربية. وقد تجسدت هذه الأطماع الاستعمارية بالحملة العسكرية لنابليون بونابرت على المشرق العربي، ومن ثم بغزو الجزائر وإطلاق حركة استيطانية ضخمة فيها على حساب السكان الأصليين من العرب والبربر. أما السبب الآخر وهو إيجابي فقد تجسَد في الإعجاب الذي أثارته الثورة الفرنسية ومبادئها التحررية من جميع أنواع الإستبداد وإرساء أولى دعائم الديمقراطية وحقوق الإنسان ؛ بالإضافة إلى مشاهدات الرحالة العرب إلى أوروبا مما ادى الى تفاعل المثقفين العرب مع مفهوم الحداثة من رؤى مختلفة اصلاحية ،ليبرالية،علمانية ... ولا عجب إذن أن يُدخل هؤلاء المثقفون جدلية الأصالة والحداثة التي مزقت الفكر العربي أثناء مجابهته لتحدي الحداثة الأوروبية وتفوّقها. لذلك أخذ مفهوم الحداثة طابعاً ملتبساً يثير الإعجاب والتوق إلى الحصول على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محتوياتها طوراً، ويثير الرفض والاشمئزاز وكره الأوروبي المتفوّق والغازي للأراضي العربية، طوراً آخر فزادت حدة هذا التفاعل في الفكر العربي المعاصر سواء في المشرق العربي مع علي حرب و الطيب تيزيني ونصر حامد ابو زيد وغيرهم .أو في المغرب الاقصى مع الجابري وعبد الله العروي وطه عبد الرحمان وغيرهم .أما في الجزائر فإننا نجد المفكر عبد الله شريط(1921-2010م) - وهو أحد كبار المفكرين المعاصرين، ومن أبرز رواد التفكير الفلسفي في الجزائر،ومن أبرز أعمدة الثقافة العربية الجزائرية، ومن رواد الفكر النهضوي العربي،تميز بفكره الشامل ونضاله المستمر - نجده قد تفاعل مبكرا مع مصطلح الحداثة والتنوير في كتاباته ، وعالج من خلالها قضايا مجتمعه برؤية حداثية تنسجم مع مدلولات هذا المفهوم كما تشكل في الغرب . وطرح أسئلة قلقة تحمل في طيّاتها هموم حول راهنية أهمية الفلسفة كنشاط فكري متميز ودورها في بناء مستقبل الامة . وهنا يحق لنا ان نتساءل : كيف عالج عبد الله شريط قضايا المجتمع الجزائرى ما بعد الاستقلال بصفة خاصة والمجتمع العربي بصفة عامة برؤية حداثية ؟

هذا التساؤل والأسئلة الأخرى التي ستأتي من تلقاء نفسها، يمكننا أن نقوم بتشخيصه انطلاقا من فكرة " المفهوم " وعلاقته بتأسيس ما يسمى بفكر فلسفي جزائري، أو ثقافة جزائرية، أو أكثر من ذلك تأسيس ثقافة عربية خالصة.فقد أعلن عبد الله شريط في الثمانينيات من القرن المنصرم عن معركة اسماها "معركة المفاهيم" وإذا انطلقنا من فكرة أن الفلسفة توجد حيث يوجد الحوار والنقاش يمكننا أن نتساءل عن الحد الذي وصل اليه الحوار المفاهيمي في الواقع الفكري الجزائري خاصة والعربي عامة .

أولا: المفهوم من المنظور اللغوي والاصطلاحي

أ) المفهوم لغة :

مفهوم من مادة (ف هـ م) ولها ثلاثة معان مجردة هي: المعرفة، والعقل، والعلم، يقال: فهمتُ الشيء، أي عرفته وعقلته [1] . والصيغة التي ورد بها المفهوم: اسم مفعول، ومن المعاني المستفادة من صيغة المفعول: أنَّ المفهوم، هو نتيجة حاصلة؛ أي ما يصبح به الشيء معروفًا لدي.[2]

والمفهوم ليس محصورًا فيما عبر عنه باللفظ؛ فهو أوسع فيمكن أن يكون لفظًا، أو نصًّا، أو حدثًا، ويمكن أن يكون مصرَّحًا به أو غير مصرَّح به[3].

ب)المفهوم اصطلاحا:

المفهوم ما يمكن تصوره ، وهو عن المنطقيين ما حصل في العقل، سواء احصل فيه بالقوة، ام بالفعل .والمفهوم والمعنى متحدان بالذات ، فان كلا منهما هو الصورة الحاصلة في العقل أو عنده .ويطلق المفهوم على مجموع الصفات التي يتضمنها تصور الشيئ.[4]

ومن أشهر التعاريف المتداولة للمفهوم، قولهم: "المفهوم معناه المنطقي هو مجموع الصِّفات والخصائص التي تحدِّد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدًا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى؛ فمفهوم الإنسان بالمعنى الأرسطي - مثلًا - هو أنَّه حيوان ناطق، وماصدقاته هم: أحمد ومحمد، وسائر أفراد الناس."[5]

لماذا دراسة المفهوم؟

نحن في حاجة إلى دراسة المفاهيم؛ لأنَّنا في حاجة إلى وعيٍ فلسفي؛ ولأنَّ الوعي الفلسفي هو المعرفة الحقيقية المبنيَّة على وقائع ودراسات موضوعيَّة بالواقع الذي نعيشه؛ من حيث إكراهاته، ثمَّ عقد العزم على إحداث التغيير، فالوعي الفلسفي معرفة وممارسة.و"**لا فلسفة إلا فلسفة عن المفهوم** "[6] فالفلسفة ما هي إلا اعادة تفكير "**وتعريف للمفهوم** "[7]

ونحن في حاجة إلى دراسة المفاهيم؛ لأنَّ كثيرًا من المشاكل تنتج عن عدم تحديد المفاهيم .ونحتاج إلى دراسة المفاهيم؛ لأنَّنا نعيش اليوم عقمًا مفاهيميًّا، فنحن نحتاج إلى معرفة نظرية للمفاهيم، وإلَّا فإننا سنبقى في حالة كمون هو حاصل اليوم. إن المهمة الأساسية للفلسفة هي أساسا "**إبداع للمفاهيم**"[8] . و الاشتغال على المفاهيم ليس أسلوبا منهجيا للدراسة والقراءة فحسب بل هو أسلوب التفكير الفلسفي ذاته فالفلسفة تفكير في المفاهيم وبها و" **المفهمة من المهام الفلسفية الأساسية**"[9]

وإذًا فالمفاهيم هي أساس وعصب الفِكر، وتساعدنا في التأصيل المنهجي للقضايا.بل إنَّ المفاهيم هي حياة الفكر، فلا يمكن أن يقوم فكرٌ بدون مفاهيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : عبد الله شريط في قلب معركة المفاهيم

يعتبر الأستاذ عبد الله شريط(1921-2010م) من أبرز المثقفين و الكتاب الجزائريين في نهاية القرن العشرين و بداية القرن الجديد، فهو المثقف الذي بزغ نجمه مع نهاية السبعينيات و بداية ثمانينيات القرن الماضي عندما عالج عديد الإشكاليات و ناقش الكثير من أسئلتها الهامة في المجتمع الجزائري، إشكالات و أسئلة من قبيل اللغة، التعليم، التعريب، التنمية، الأخلاق، الفلسفة السياسية، علم الاجتماع العام وغير ذلك. وقد كان الخيط الناظم لهذا المجهود الفكري هو فلسفة المفاهيم حيث عملت النظرة الفلسفية لعبد الله شريط على رسم معالم بنية المجتمع الجزائري والمجتمعات العربية الاسلامية وفق منظور ربما يختلف عما كان سائدا قبله، وتمثل ذلك في الوقوف على بعض المفاهيم التي فقدت معناها في حياتنا الإجتماعية والفكرية اليوم بالرغم من أنها كانت تشكل قيما ثابتة في تراثنا العربي الإسلامي أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وابن رشد وابن خلدون، فكيف حصل هذا التقهقر بعد هذه المحطات النيّرة في تاريخنا، هذا السؤال الفلسفي الحضاري لازم أستاذنا ودفع به إلى البحث في طبيعة بعض المفاهيم التي تغلف حياتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية والتي تحول دون تغيير واقعنا ونظرتنا الى المستقبل.فمن نسيج المفاهيم الفاسدة لا يستقيم أي شيء أبدا و لذلك كان لابد من دراسة هذه المفاهيم، وفحصها فحصا نقديا من حيث جذورها، ونموها ،وماهيتها ، وقبل ذلك من حيث صلاحيتها. وإذا كان دور الفلسفة في العالم المتقدم هو استكشاف المستقبل بعد أن تمكنت شعوبهم من حاضرها فإن " **دور الفلسفة في عالمنا المتخلف فهو أكثر تعقيدا من ذلك ويتجاوز المهمة الاستكشافية للمستقبل، إلى محاربة المعطلات الخرافية والانفعالية المفرطة ، سواء على مستوى الجماهير أو الساسة**"[10]. فالأمم التي يتحكم فيها الأموات أكثر مما تتحكم فيها الحياة ومشاكلها لا تسيطر على حاضرها ومن ثم يهرب منها مستقبلها.إذ أن "**المستقبل عندنا هو عالم خارج هذا العالم، هو الآخرة وحدها هو الدار الباقية**"[11] و لذلك كان دور الفلسفة عند هذه الأمم مقتصرا في المرحلة الأولى على محاربة العوائق التي حالت وتحول دون بناء حاضرها .

بهذا لخص عبد الله شريط مطلع سبعينيات القرن الماضي أزمة العرب، والفكر العربي بأبعاده ومضامينه وتداعياته المختلفة. لقد مكنه تكوينه المتنوع والخصب من الوقوف عند التحديات التي واجهت الثقافة العربية والأسئلة الجديدة التي جابهت العرب وتراثهم، فأصبح وجودهم التاريخي مرهونا بمدى قدرتهم على التواصل مع الراهن وتعيناته وحقائقه الموضوعية لأن الموروث الثقافي الذي ظلت تتحصن به الذات ، شاخ ولم يعد يملك القدرة على الإجابة عن أسئلة الحداثة الكونية التي أنتجت عالما جديدا، ونسقا حضاريا جديدا، وإنسانا جديدا جعلته سيدا مطلقا وقيمة كبرى ومحورا للكون. " **فلن يكون بناء المستقبل -كما يظن بعض انصاف المثقفين – بالتقهقر بمفاهيم وقيم لم تعد تصلح للحاضر ولا للمستقبل .بل بالجمع بين خير المفاهيم في تراثنا العربي وبين افضل عناصر الثقافة والفكر الحديث** "[12] . بهذا يوجه شريط نقده لبعض المفكرين العرب المشتغلين باستشراف المستقبل العربي ، فشيدوا مستقبلا خياليا من حاضر مجرد ،حاضر زائف مشبع بالمفاهيم الموروثة المحنطة ، والحال أن المستقبل يتولد من الحاضر ومعنى ذلك أن الصعوبة الأولى للتفكير في المستقبل هي صعوبة التفكير في الحاضر.

ومن هنا كانت المفاهيم الغربية المستوردة مجرد ملهاة ، لا تعكس واقعا حقيقيا في كيان الأمة.كما أن المفاهيم المأخوذة مجمدة من ثلاجة الموروث ، لا تعدو أن تكون مأساة تزيد من تردي حال الأمة. والواقـــع أن الذات العربية وقعت ضحية اضطراب شديد ،بين تقليد الوافد الجديد ، وبين التمسك بالموروث التليد (**والذات المضطربة ثقافيا هي ذات محرومة من القدرة على التعاطي مع الحياة الذي هو سنة كونية لأنها ببساطة تخلت عن حقها الأصيل في تعهد ثقافتها بالنقد والتطوير، كما تخلت عن البحث العلمي الجاد والرصين الذي به توجد المفاهيم**)[13] إن معركة المفاهيم هي معركة الوضوح والتوضيح والدقة ، ولعل من ابرز مظاهر التخلف الذهني والثقافي ألا يكون للألفاظ معنى محدد ،أو يكون لها معنى مختلطا ،أو مشوها ،أو متناقضا .ولا انتصار في هذه المعركة إلا بالنقد والقطيعة (**وإذا حدثت هذه القطيعة واعترفنا بخطئنا امكننا عندئذ ان نفك منطقة معركة المفاهيم لصالحنا ...معركة اشتد فيها الغلو والتطرف لمفهوم من المفاهيم بدل ان نحلله تحللنا نحن وأصبحنا عبيدا للمفهوم**)[14]. ان غاية عبد الله شريط هي تحليل الواقع ، وإعادة بنائه للانطلاق منه الى مستقبل افضل ، ولن نصل الى هذا المبتغى إلا بانتهاج مبدا الواقعية ، والواقعية في الفلسفة (**هي أولا الاهتمام بمشاكل الناس الفكرية المرتبطة بحياتهم الو اقعية المعاشة، ومعناها ثانيا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استكشاف المستقبل من خلال نبضات الحياة الراهنة بطريقة تتجاوز الو اقع)[15]

لقد اعتبر شريط ان سلاح هذه المعركة هو الواقعية الفلسفية التي لا تنطلق من محاولة تفسير العالم كما هو حال تفسير الفلاسفة المثاليين، وإنماتهدف إلى تغييره كما كان يطمح وينادي كارل ماركس، يستلهم عبد الله شريط فكرة التغيير ليجعلها مهمة الفلسفة الأساسية، قائلا:(**إن دور الفلسفة لم يعد الفهم بل التغيير، نحن لا نفعل شيئا إلا إذا فهمنا حقيقته أو قو انينه وعلاقاته.)**[16] ان هذه الواقعية التي تميز بها شريط لم يستمدها فقط من كارل ماركس او من ابن خلدون، باعتباره نموذجا يحتذى به عنده، ولكن استلهمها كذلك من معايشته لفهمه للواقع الجزائري الحديث بكل مفارقاته،ذلك أن معركة المفاهيم انبثقت عن الأزمة الثقافية التي عاشها المجتمع الجزائري في أعقاب الاستقلال حتى اصبحت هذه المعركة نمط وجود لمجتمعنا .ولا شك إذن (**أن معركة المفاهيم قد بلغت الذروة في حدتها ،ولن تجد جز ائريا يحدثك قليلا من الوقت حتى ينقلك معه الى صميم المعركة**)[17] .وقد شهد الكثير من طلبة عبد الله شريط بواقعيته، حيث يعترف له الزواوي بغورة بهذا التميز في اتصاله بالواقع والراهن الجزائري قائلا:(**ومما لا شك فيه أن الأستاذ شريط يتفرد عن جميع أساتذة الجيل الأول بغزارة الإنتاج وارتباطاته بالمسائل والقضايا التي تواجه المجتمع الجز ائري ومن هنا فخطابه يتميز بخاصية الاتصال المباشر باليومي والحاضر)**[18] وعلى ذلك فالفكر العربي لن ينطلق مجددا ، ومبتكرا ، وخلاقا إلا انطلاقا من تحليل الواقع وتوفير شروط تغييره. اذ يجب ان نجعل من واقع شعوبنا المرجع الأساس لأعمالنا والمنطلق لإعادة بناء مفاهيمنا مع الاستفادة من تجارب الغير في كل ما يسمح بالاقتباس والإفادة .

تلك إذن هي الواقعية الفلسفية عند شريط التي نستطيع أن نجمل خصائصها في ارتباطها بالواقع اليومي، وبالواقع الحضاري لكل المجتمعات ، وإذ يتبدى لنا أن الفلسفة لا تحل المشاكل اليومية كما هو حال العلم، في الطب والميكانيكا والبيولوجيا، فإن نظرتها أوسع من الراهن فهي تنطلق منه و لأجله، لتصنع منه ممكنات للمستقبل بعد تحليله، وفهمه، ف(**الفلسفة لا تحل مشاكل الحياة اليومية هذا صحيح، ولكنها تخلق الفكر الذي يحل مشاكل القرون والأجيال ويتمرس على صعاب الحياة، وينظم المجتمع ويحدد العلاقات بين الوطن والإنسان في جملة الأوطان... لا تحل المشاكل العاجلة ولكن الحضارة المتشبعة بها هي التي تخطو الخطوات السريعة في الرقي)**[19]

ثالثا :طبيعة المفاهيم عند شريط:

إن تحديد طبيعة المفاهيم عند عبد الله شريط ينبغي أن ينطلق من ملاحظة أنه لا يعمل على العودة إلى المصطلح من الناحية المعرفية واللغوية و إنما يتجه إلى البحث في مجالات استخدام هذا اللفظ ، ويرجع ذلك إلى طبيعة تكوين شريط قبل كل شيء باعتباره مفكرا متشبعا بالإيديولوجية الاشتراكية التي سادت العالم في الستينات والسبعينات من القرن الماضي، ومنها الجزائر وكان شريط أحد المتأثرين فيها بهذه الإيديولوجية وأحد أبرز منظريها والمدافعين عنها. كما يعود من جانب آخر إلى ما اكتسبه شريط من الإعلام فقد عمل مدة طويلة في هذا المجال سواء قبل الاستقلال أو بعده في الصحافة المكتوبة، وفي الإذاعة ،و التلفزة مما مكنه من اكتساب القدرة على التواصل مع أصناف الجمهور المختلفة، سواء منه القارئ ، أو المستمع أو المشاهد. وبالإضافة الى ذلك فإن منهج سقراط الفلسفي الحواري الجدلي كان حاضرا في معركة المفاهيم بقوة، ذلك أن شريط صاحب تكوين فلسفي متميز، فهو أستاذ الفلسفة وصاحب الدراسات الخلدونية المختلفة. إن دراسة وتحليل بعض المفاهيم عند شريط تظهر تلك الخصوصية التي أشرنا إليها سابقا ، حيث نجده لا يعرض للمصطلح من وجهة نظر معينة، كما لا يتعصب لرؤية محددة، حتى لو كانت هذه الرؤية لمجتمعه ،وما يعارضها لخصومه بل و لأعدائه وهذا ما يجعله يعرض للتصورات المختلفة والمتناقضة، ويحاول بعد ذلك أن يرجح التصور الذي يصلح والذي يتوافق والهدف العملي الذي يسعى إليه. لذلك كان لا بد من استعراض بعض أهم النماذج من المفاهيم التي درسها شريط و حللها . و سأقتصر في هذا العرض على مفهومين : مفهوم الشرف، ومفهوم الثقافة.

أ) مفهوم الشرف

يقدم شريط مسألة الشرف بعرض التصورات المتعارضة في الحوار الذي ينشئه بين الأب والإبن ، الأب بوصفه يمثل رؤيتنا الثقافية الموروثة ، والإبن يمثل الرؤية الحداثية الوافدة .ومن خلال الحوار يظهر الاختلاف التام بين الرؤتين حول مفهوم الشرف ،والرجولة ، والعفة .فالنظرة التقليدية تربط الشرف بالمرأة والرجولة بالغلظة في التعامل مع المرأة، والعفة في استكانة المرأة للرجل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(**فنحن لا تستطيع المرأة ان ترفع صوتها أمامنا وان فعلت فان الجواب عليها صفعة تعيد اليها صوابها**)[20] هكذا يتفاخر الاب برجولته ويعيب على جيل ابنه غياب رجولتهم" **أما أنتم فإن النساء لا يقفن معكم عند حد رفع الصوت ، بل إذا صفعتها ترد اليك الصفعة**"[21]

ويرد الإبن بأن الرجولة ليست هي الوقوف في وجه المرأة . وإنما هي رفض الإهانة من الأجنبي و لو أدى ذلك الى السجن . وهنا يتدخل شريط في الحوار مدعما لموقف الإبن (**نعم مفهوم الشرف عند الانجليزي هو أن لا تمس العلم البريطاني بسوء. والشرف عندنا هو أن نحيط بيوتنا بأسوار عالية ، ونحكم إغلاق الأبواب على الحريم ،حتى لا يدنس شرفنا، المسألة اذن هي مسألة مفهوم في الشرف فقط**)[22] . ويتحول منحى الحوار ليصبح شريط الطرف المتفاخر بالتراث بعد أن يسأله الشاب : ماذا يترتب عن الاختلاف في المفهوم ؟ فيجيب شريط:(**يترتب عليه أن نساءنا في حفظ من الدنس ، ونساء الأوربيات يتمرغن في العار**)[23] ، يريد شريط من هذه الإجابة أن يستفز الشاب ، ليستولد منه الإجابة المطلوبة كما كان يفعل سقراط مع محاوريه.وبالفعل يكمل الشاب الإجابة قائلا :(**ويترتب عليه أيضا أن العلم البريطاني لا تغرب عليه الشمس في شتى أنحاء الأرض ،وعلمنا نحن لا نعرفه منذ قرن وربع قرن**)[24] . يحاول شريط في هذا الحوار وغيره أن يغير مواقعه بين طرفي الإختلاف في المفهوم ،محللا جذوره وتفاصيله ليصل الى موقف يوفق فيه ويخفف الإختلاف معتمدا في كثير من الأحيان على السخرية والتهكم ،ناقدا بصرامة ذلك الجمود القاتل في المفاهيم الموروثة. وقد يتوهم القارئ للوهلة الأولى أن شريط يريد أن يحقر من الثقافة العربية ،والحقيقة أنه يقف ضد المفاهيم البالية التي تعود الى عصور الانحطاط والتي ليس بينها وبين العقلية العربية الأصيلة أية علاقة.

يلجأ شريط الى التخفي وراء شخصية محاوره ،ليجعلها ستارا يعبر من خلاله عن آرائه الخاصة . فهو يوجه نقده اللاذع لمفهوم الشرف -حسب الرؤية الموروثة-على لسان الشاب الذي يحاوره مبينا أن مجاملة هذه الرؤية هي التي تضيع الأوطان فحصر الشرف في المرأة وعفتها ينتج عنه الغفلة عن شرف الأوطان ومصيرها .وما ضياع فلسطين إلا بسبب هذه النظرة .ويتساءل شريط مندهشا وكيف كان ذلك ؟ ويجيب على لسان محاوره بأن اليهود عندما هاجروا الى فلسطين كانوا يسارعون الى فتح المواخير والمحلات الليلية ،ويضعون فيها اجمل الفتيات ليفد الشبان العرب إليها ثم يصبح اللهو عادة مستحكمة فيهم ، تفرغ جيوبهم، فيضطر الشباب الى رهن مزارعهم وضيعاتهم عند المضاربين اليهود ،فقط ليشربوا الخمر عند الحسناوات، وهكذا يأخذون المبالغ دون حساب ، وحين يعجز أحدهم عن تسديد الدين (**يبيع المزرعة ، وتصبح ملكا لليهود .وسرعان ما تتحول الى قلعة حربية يتدرب فيها الشبان اليهود ، والفتيات اليهوديات على استعمال الأسلحة والتأهب للمعركة .وجاء اليوم الموعود ن فتحولت الفتيات اليهوديات الباسمات الناعمات الى سفاحين يذبحن اطفال 'ديرياسين' ويستولين على ما تبقى**)[25]

والنتيجة التي أراد شريط الوصول اليها من فتح الحوار حول مفهوم الشرف هي أن الاختيار بين مفهوم الشرف كما ورثناه ، ومفهوم الشرف كما هو عند الغرب أمر عسير ، لكن لا مناص من هدم مفهوم الشرف الموروث وإعادة بنائه من داخل المنظومة الفكرية العربية الاسلامية و بما يتفق مع روح العصر .

ب) مفهوم الثقافة:

يعترض عبد الله شريط بشدة على مفهوم بعض المثقفين المفرنسين للثقافة (ثقافة الشعب) حيث يعتقدون أنها لا تتحقق إلا بالغة الفرنسية،باعتبار أن اللغة ما هي إلا أداة لنقل المعارف ، والمضامين بطريقة محايدة ، وأن الغاية تكمن في نقل المعارف وليس في اللغة في حد ذاتها .وبهذا المفهوم فإن اللغة الفرنسية هي الأنسب للشعب بوصفها تمثل المنفذ الاقرب للعصر الحديث، والحضارة الغربية ، لما تتميز به من مرونة وقدرة على التفاعل مع العلم والتقنية. يرفض شريط هذا الموقف ، ويؤكد في المقابل أن اللغة ليست وسيلة حيادية ،وليست فقط وسيلة للتخاطب والتواصل اليومي بين الأفراد ،ولكنها أداة لنقل الثقافة ، ووعاء لجميع ما تتضمنه هذه الثقافة من تقاليد ، وأعراف ، وعادات ، وعقائد ، وتصورات ، وقيم ، ومناهج للحياة .بها يتم بناء الفرد وإعداده بما يتلاءم وانتمائه ،ويمتد تأثيرها ليشمل تفكيره ،وتصرفاته ، وعقائده، إنها ذات علاقة وطيدة بالثقافة ، والثقافة ذات ارتباط متين بالهوية والشخصية والوطنية ، ومن فقد لغته فقد هويته .و لذلك فلا لغة للثقافة الوطنية إلا اللغة العربية . وهذا المطلب لا يتحقق إلا بمقاومة الأمية في المجتمع الجزائري و تعليم الشعب الجزائري تعليما سليما وفق أسس و أرضيات معرفية صلبة و بمناهج جديدة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و متجددة و ثانيا بواسطة اللغة العربية التي حسبه هي لغة الثقافة أو يجب أن تكون كذلك ، مصرا على أنها لغة الثقافة من حيث المستوى الثقافي و اللغة الوطنية من حيث الامتداد الجغرافي، على عكس ما يدعيه دعاة التغريب و الفرنسة .ويرى أن الشعب الجزائري يجب ان يخوض معركة الثقافة ، التي هي اشد صعوبة وتعقيدا من معركة السلاح (**لأنها ليست معركة تهديمية سهلة ، بل هي إنشائية أكثر، هي معركة لا يهدم فيها عدوا بل يهدم فيها جزءا من نفسه، ولا يثور فيها على المستعمر بل يثور على أجداده في سبيل أبناءه ويهدم فيها أمسه المظلم ليبعث منه غده المشرق.أو بعبارة أصح معركة يتخطى بها قرون الانحطاط ليقبض بيده على أصالته الأولى في ميدان اللغة ... إن كل ما نتخبط فيه اليوم من أوحال القواعد اللغوية هي من صنع قرون الانحطاط، من صنع عقلية التعقيد المنطقي التجريدي**)[26]

يميز شريط بين مستويين هامين في أي مشروع نهضوي ،مستوى التنظير ، ومستوى الممارسة فليس كافيا ان نتحمس للفكرة وننددفع لتطبيقها بعاطفة قوية بل ينبغي تحديد الاستراتيجيات المناسبة للتطبيق ، وتوفير الوسائل الفكرية والمعرفية ، والمادية لإنجاح المشروع .ولذلك فان معركة التعريب لا تزال في مرحلة الجدل والمناقشة ، ولم ترق الى مرحلة تقديم الأسلحة وخوض المعركة الحقيقية. من خلال المجتمع ، ذلك أن تطور اللغة عند شريط لا ينفصل عن تطور المجتمع ،وإذا كانت حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية تحتاج الى إعادة نظر ، ومراجعة عميقة حتى نجد لأنفسنا مقاما بين الأمم المتحضرة، فكذلك الثقافة بحاجة الى إعادة نظر ، لاسيما لغة هذه الثقافة إذ ينبغي أن نطور أساليبها وتراكيبها وطرق تدريسها . ولا يمكن أن تتطور اللغة في مجتمع متخلف ، ولا يمكن للغة أن تزخر بأساليب ومصطلحات وتراكيب تساير عجلة الحضارة ، في مجتمع أمي لم يبلغ شيئا من المستوى الحضاري. وأول ما يجب القيام به هو تصحيح تلك المفاهيم التي اللغة العربية بالعجز والتخلف والمحدودية .ففي حقيقة الأمر أن هذا الاتهام (**موجه الينا نحن اصحاب هذه اللغة، وأن دفاعنا عن اللغة العربية بأنها لغة العلم والتطور هو ايضا دفاع عن أنفسنا ، نخفي وراءه عجزنا عن تطور لغتنا**)[27] ولذلك فإن الجدل القائم بين المدافعين عن اللغة العربية وبين المتهجمين عليها، هو جدل مفتعل لا يجدي العربية شيئا ، وسيبقى عقيما (**الى أن يأتي اليوم الذي يوجه فيه الإتهام صراحة الى حاملي الثقافة العربية بأنهم عاجزون عن تطوير لغتهم، وبأنهم هم المسؤولون عن هذا العجز الذي تتخبط فيه اللغة العربية ، عندئذ سيحس المثقف العربي أنه هو المسؤول، وليست اللغة العربية**)[28]

ومن جهة أخرى يربط شريط بين مفهوم الثقافة ومفهوم الوطنية ،فيعتبر أن المفهوم الجغرافي للوطن يجب أن يدعم بالمفهوم الإجتماعي ،والسياسي ، والإيديولوجي، فمحبة الوطن بعد التحرير ،لا ينبغي أن تتوقف عند محبة التراب ، المرتوي بدماء الشهداء بكل حدوده الجغرافية ، بل يجب أن تتضمن محبة الشعب ، ولذلك على الشعب الذي ضحى بالأمس بدمائه ،في سبيل تحرير الجزائر من مخالب الإستعمار ،عليه أن يعمل على تحرير نفسه من التخلف ،والفقر،والاستغلال. ولذلك يجب أن نستكمل مفهومنا للوطنية إذ أن (**مفهومنا للوطنية في مرحلة الإستعمار المباشر كان مفهوما بسيطا يتمثل في مقاومة العدو المحتل لبلادنا ، وكان تجنيد الشعب لمقاومته بسيطا ايضا وواضحا ،أما المفهوم الذي تتطلبه المرحلة الجديدة ، فهو أقل وضوحا في ذهن الجماهير ويتطلب من الاطارات السياسية والمثقفة في أقطارنا مجهودا أكثر لتوعية جماهيرنا به**) [29] . وينتقل شريط من معالجة الحالة الجزائرية ليتمثل وضع الشعوب العربية ،وحاجتها الى تجديد مفهوم الوطنية ف(**المطلوب منا اليوم أن ننتقل بجهد كبير الى هضم المفهوم الجديد للوطنية وكونه أصبح يرتكز، في النطاق المحلي ، على عنصر الجماهير ومصلحتها التنموية ، ويرتكز في النطاق الدولي على مقاومة المصالح الأجنبية التي تعتمد في الوطن العربي على مصلحة الفئات" الوطنية" لاستغلال الجماهير العربية المعذبة**)[30]

خاتمة

وختاما يمكن القول أن عبد الله شريط هو صاحب نظرة حداثية ،واعية ،جديرة بأن تُفعَّل ، وأن تُعَرف للأجيال الصاعدة في الجزائر ، والعالم العربي ، فقد شيَّد لفلسفة المفاهيم ، وارسى دعائم النقد والتحليل ، وعمل على تسليم السلطة للعقل ، وتحكيمه في القضايا المعقدة ، نابذا أن تكون العاطفة ، والذاتية هي مصدر الحكم على الأمور،داعيا الى إحداث القطيعة مع رواسب الماضي ، ومحاربة التقليد ، واجترار الماضي ،ورفض كلّ اشكال الانغلاق الثقافي ، وتحنيط العقل ،وجعله عاجزا عن مواكبة تحدِّيات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العصر، ومشكلاته الراهنة ، كما دعا الى ضرورة التحلي بالحذر في التعامل مع المفاهيم الوافدة من الغرب دون قطع جسور التواصل معه والإفادة من منجزاته الحضارية ،والثقافية ، و كان في كل ذلك متشبّعا بفلسفة واقعية ، تتحسس نبض المجتمع ،وتسعى لتحقيق التطور والازدهار لكافة الشعوب العربية . فالأزمة الثقافية ،والحضارية التي تعيشها أمتنا العربية اليوم إنما ترجع الى فوضى المفاهيم ، لاسيما ما تعلق منها بالتراث ، والتردي الثقافي الذي نعاني منه في بعض جوانب حياتنا الفكرية واليومية ، يرجع الى افتقاد الرؤية الحداثية ،والنظرة الصائبة ،نحو هذا التراث العربي .ولذلك ينبغي التنويه بكل المجهودات التي بذلتها النخب العربية المفكرة، في سبيل الخروج بالتراث ،وما يتضمنه من مفاهيم . من حالة الجمود والرفض لروح العصر ،الى حالة الحياة،والحضور ، والتفاعل ،والإبداع .ولا شك أن عبد الله شريط هو واحد من أبرز الأسماء العربية ، التي حملت لواء الحداثة والتنوير ، وفق الأصول والثوابت التراثية الأصيلة .ونحن اليوم في أشد الحاجة الى نشر هذا الفكر في حياتنا الفكرية ،واليومية الراهنة.ليكون حاجز صد أمام زحف بعض التيارات "الظلامية" التي بدأت تتسرب في النسيج الثقافي للأمة،وهي تدعوا بروح بروح جامدة ،ومنغلقة الى الارتداد الى الماضي السحيق دون تبصر أو ، وعي ، أو اعمال لأدنى قدر من العقلانية.

المصادر والمراجع:

1- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م ، كتاب الفاء، باب الفاء والهاء وما يثلثهما، ،ج 4 ، ص 457،.

2- ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر - بيروت، 1993 م ،1993 ،كتاب الميم، فصل الفاء، مادة (ف ه م)، ج 12، ص ص ، 459، 460،

3- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص 457

4- صليبا جميل ،المعجم الفلسفي ج 2 دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان 1982،403

5- بيومي إبراهيم ، أسامة محمد القفاش، السيد عمر.. ، بناء المفاهيم؛ دراسة معرفية ونماذج تطبيقية الجزء الأول:.، إشراف علي جمعة محمد، وسيف الدين عبدالفتاح إسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،القاهرة، 1998م.ص 31

6- Cossutta , Frédéric , Éléments pour la lecture des textes philosophiques,Ed. Paris, Pordas,1992, P40

7-IPid,P40

8-Gilles Deleuze,Guattari,Qu'est ce que la philosophie?,Ed.Minuit,Paris,1991,PP36et43

9- IPid,P51

10- المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1981 ص127

11- عبد الله شريط: معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، ص30

12- المصدر نفسه ص9

13- بوزبرة عبد السلام ، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة الغربية، جداول للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ط1 ،2011 ، ص29 .

14- سؤال الاخلاق في الفكر الجزائري .عبد الله شريط نموذجا مقال رايس زواوي ،مجلة الواحات للبحوث العدد 18 2013. ص 202

15- شريط عبد الله،الاعمال الكاملة ،المجلد الأول الجزء الأول،منشورات السهل،2009، ص127

16- شريط عبد الله، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، مصدر سابق، ص 347

17- شريط عبد الله ،معركة المفاهيم ص7

18- بغورة الزواوي، الخطاب الفكري في الجزائر- بين النقد والتأسيس، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2003 ، ص 193

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

19- شريط عبد الله: معركة المفاهيم، مصدر سابق ،ص 290

20- المصدر نفسه، ص 25

21- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

22- المصدر نفسه ،ص،ص 25 ،26

23- المصدر نفسه ،ص26

24- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

25- المصدر نفسه ،ص 27

26- شريط عبد الله ، من واقع الثقافة الجزائرية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ب ت ،ص 15

27- المصدر نفسه ،ص11

28- المصدر نفسه ،ص 12

29- شريط عبد الله ،حوار ايديولوجيمع الفيلسوف المغربي عبد الله العروي حول المسالة الصحراويةوالقضية الفلسطينية،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2008،ب د ،ص110 .

30- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com